

✿ الدرس العقدي بين أزمة علم الكلام وتعرش الديدانك

✍ أ.د. شافية صديق

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر 1-

هناك اليوم في العالم اتجاه لإعادة الاعتبار للأديان والبنى الثقافية العميقة كبعد أساسي في تحليل سلوكيات الأفراد والمجتمعات وقد رأينا توبة المفكر فوكومايا عن فكرته حول نهاية التاريخ وقارب العلاقات الدولية مثلاً من منظور لا يتعد كثيراً عن من كتابات ماكس وير في الربط بين تطور الرأسمالية وخصائص البروتستانتية.⁽¹⁾

وبعد 11 سبتمبر 2001 بدأت من ناحية أخرى ملامح تدخل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في توجيه الإصلاحات التي لها علاقة بذلك البعد الرئيسي والحيوي في حياة المجتمعات: كإصلاح المنظومات التعليمية بما فيها فرع العلوم الدينية.

من العناصر المساعدة على فهم روح هذا الاتجاه يمكن ذكر على سبيل المثال التنبيه الذي قدمه المفكر Regis DEBRAY في فرنسا البلد الذي يطبق العلمانية المتطرفة في التعليم منذ 1905 فقد نبه المفكر إلى الخطأ الذي وقعت فيه فرنسا ومن هذا حذوها من بتر للتفكير العميق للأشياء بعزل الدين عن تكوين التلميذ والإنسان عموماً وبين أن أحداث وظواهر هامة في العالم لا يمكن فهم كنهها بعيداً عن الأديان فأحداث 11 سبتمبر لا يمكن تحليلها بعيداً عن معرفة الحركة الدينية

الوهابية وموسيقى الجاز العالمية لا يمكن فهم أعماقها بعيدا عن البروتستانتية وأزمة البلقان بعد تفكك يوغسلافيا لا يمكن فهمها بعيدا عن خصائص الإسلام وخصائص المسيحية وتاريخ الصراع المسيحي الإسلامي وصراع الطوائف المسيحية فيما بينها.⁽²⁾

العالم الإسلامي اليوم يعيش أزمة متعددة الأبعاد والتعليم مجال تنعكس عليه أشعة تلك الأزمة والتعليم الديني هو التحدي الحقيقي الذي يمكن من خلاله الخروج من مشكلة هوية الفرد الذي يريده المجتمع.

أول إشكالية هي ضرورة الخروج من مأزق أن التكوين الديني في الجامعات يخرج موظفي الدين أي من يعيد إنتاج الوضع السائد لأن خصوصيات التكوين الديني في ظل مجتمع بخصوصيات العالم الإسلامي يستحضر دائما البعد العقدي الإيمان.

الظاهرة الدينية اليوم تدرس من مداخل عديدة كالأنثروبولوجيا (خصوصا الأنثروبولوجيا الدينية) ومحاور عديدة تدخل كمساقات كطقوس العبور وفروقات الدين والتدين والأديان الشعبية كتركيز الدراسات الغربية على أن الإسلام هو إسلامات (بين إسلام النيجريين وإسلام الباكستانيين وإسلام السعوديين وإسلام الماليزيين وإسلام أفارقة الولايات المتحدة وهنود بريطانيا) إضافة إلى أهمية دراسة الموسيقى الدينية والمقاربة ليست دائما وصفية وحيادية لأن تأويل التمثلات الدينية يعتمد إلى جانب التراكم المعرفي على القراءات الذاتية الاجتهادية.

الدراسات حول الدين تصطدم دائما بمحدودية الأدوات العلمية أمام الظواهر العميقة فمن يستطيع تحديد عدد المتنصرين الحقيقي في العالم الإسلامي

خصوصاً مع المذاهب المتحررة من التراتبية الدينية وتساهل تلك المرتبطة بالتراتبية في حالات ما يسمى *الاضطهاد الديني* (3).

من يستطيع اليوم تحديد المعاني الدقيقة للإلحاد (4) في مجتمع إسلامي قد يتحول فيه التدين إلى التزام اجتماعي أساساً كما نبه إلى ذلك عبد المجيد النجار في مجلة المسلم المعاصر عندما قال أنه أحياناً يتحول الدين في المجتمعات الإسلامية إلى صوم رمضان وختان الأطفال فقط.

العقلية الفقهية التي سيطرت على مداخل مقاربة الظاهرة الدينية لدى المسلمين جعلت البحث عن أرشفة القضايا والتخلص من إلحاحيتها بدل تفكيكها في مخابر العقل المسلم المتحدّد وقضية مرتكب الكبيرة مثال على ذلك فلا اتفاق على تعريف الكبيرة ولا على ترتيب أنواعها ورغم ذلك سيف التكفير متسرع في الإجهاز على الرقاب ولو بالشبهة والريب.

العملية التعليمية Didactique :

ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية يعتره مشاكل وإن كان السائد اليوم هي: التدريسية وعلم التعليم وعلم التدريس والتعليمات والعلمية وحاول البعض التأصيل المعجمي لبعض هذه الترجمات كما فعل المتخصص حنفي بن عيسى. الدلالة العامة للمصطلح هي ما يرتبط بالتعليم من أنشطة تحدث في العادة داخل الأقسام وتستهدف نقل المعلومات والمهارات من المدرس إلى الطلاب.

أصل الكلمة في اليونانية DIDAKTIKOS ومعناها: فلنتعلم بمعنى وجود تواصل بين عناصر العملية التعليمية. ومن الذين ألفوا في الموضوع وأعطوه الدفع القوي: كامنسكي KAMENSKY K، في 1657 في كتابه: MAGNA DIDACTICA وقد حدد جان هوسي JEAN HOUSSAY المثلث الديداكتيكي

TRIANGLE DIDACTIQUE بالعناصر الثلاثة التالية: الأستاذ، الطالب، والمادة الدراسية أو المعرفة.

عناصر المثلث يجب أن تتفاعل وفق منظومة من القيم حتى لا تختل وتتعرض العملية التعليمية ومن مظاهر التعثر:

- إذا كان هناك تركيز على المادة الدراسية على حساب العنصرين الآخرين سميت هذه الحالة من التعثر بالانحراف البراجمي DERIVE PROGRAMMATIQUE.
- وإذا كان التركيز على الأستاذ تسمى الحالة الانحراف في العقل الفعال DERIVE DEMIURGIQUE.
- وإذا كان التركيز على الطالب سميت الحالة بالانحراف البسيكولوجي DERIVE PSYCHOLOGIQUE.

العمل المتوازن بين العناصر الثلاثة من أجل إنجاح العملية التعليمية يسمى العقد الديداكتيكي CONTRAT DIDACTIQUE⁽⁵⁾.

إذا طبقنا الأمر على العملية التعليمية في إطار الدرس العقدي يلاحظ:

في ضلع المثلث الأستاذ:

- هناك مشاكل عامة للأستاذ كمواطن يسري عليه ما يسري على غيره من المواطنين.

- وهو كأستاذ جامعي يعاني ما يعانيه العاملين في قطاع التعليم العالي وما يعانيه الأستاذ الجامعي من مظاهر التخلف وتقهر منظومة القيم العامة.

- وهو كأستاذ للعلوم الإسلامية يعاني ما تعانيه هذه المنظومة وما يعانيه أستاذ العلوم الإسلامية وعدم اقتناع بعض الدوائر بأهمية تخصصه وخطورته.

-وهو كأستاذ لتخصص أصول الدين يعاني من إشكالية التفضيل غير المبرر لتخصص الفقه فهو معني بتحدي إضافي هو الدفاع عن شرعية أولوية العقيدة على الفقه وبالتبعية الدفاع عن علم الكلام خصوصاً مع الإرث التاريخي الذي جعل الفقهاء يرتبون العلوم الإسلامية بتسبيق الفروع على الأصول وربط العلوم الإسلامية بفروع عملية كالموارث وفقه الزكاة وقد بين أبو حامد الغزالي في تحليله لما يشبه هذه الأزمة في باب العلم من إحيائه أن مغامر الدنيا أحياناً كثيرة كانت السبب في ذلك.

لو تحرر أستاذ أصول الدين من ثقل هذه الاكراهات فهو الأنسب لتحرير الدرس العقدي والكلامي من أزمة التلقين والنصوص المغلقة وإرجاع الحيوية للعقيدة والبحث عن الهندسة المعرفية للكلام الجديد الذي يمنهج ذلك المسار بالاستفادة من تراث ثري جداً.

ضلع الطالب:

-الطالب عموماً مراهق أو شاب يحمل في قلبه وعقله أصعب آثار المجتمع المتأزم. في بعض المناطق الإسلامية تكلفة التعليم حتى بالنسبة للبلدان التي تطبق التعليم المجاني تجعل بعض الأسر تفضل التعليم الديني وأحياناً يرتبط انضمام بعض الطلبة بالعلوم الإسلامية بأزمة روحية أو اجتماعية يبحث الطالب عن التخفيف منها أو التخلص منها بالارتقاء في تخصص يذكر بالآخرة.⁽⁶⁾

-التوجيه التعليمي الرسمي يشدد في الانضمام لبعض الكليات والمدارس العليا على المعدلات المتفوقة بينما بعض الكليات الدينية لا تضع موانع على المعدلات الضعيفة وكأن خطورة عالم الدين أقل من خطورة خطأ الطبيب وهو ما يظهر أيضاً

في التساهل في اتجاه الإصلاحات التي تقلص مدة التكوين لدى طالب العلوم الإسلامية بينما تحتفظ كلية الطب مثلاً في التكوين بمدته الطويلة.

- الطالب في العلوم الإسلامية مع مستواه الضعيف أو المتوسط لا يحسن قراءة كتب التراث ويفضل عليها أمالي أساتذته أو المؤلفات البيداغوجية التي لا تغني بتاتا عن دراسة الأمهات ضف إلى هذا غياب التواصل ببعض الاجتهادات الحديثة .

- غياب الدراسات من مشارب أخرى لديانات أخرى باعتبار التخصص يندرج عالمياً تحت تصنيف علوم الدين أو من تخصصات أخرى ضمن مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تندرج ضمنها العلوم الدينية .

- ضعف الملكة اللغوية في العربية أساساً وفي اللغات الأجنبية والتي تجعل الطالب الشاب بعيداً عن الحراك الذي يعيش فيه أقرانه.

- انتماء بعض الطلبة إلى مدارس فكرية يجعله ينغلق على دراسة غيرها وكأنه سيجازي بشهادة في علم مدرسته وليس في العلوم الإسلامية وتزداد الأمور صعوبة إذا تحالف بعض الأساتذة مع هذا الانحراف من أجل ظاهرة غريبة عن الروح الأكاديمية وهو ما يمكن تسميته بعقلية الشيخ والمريد.

- يفتقر طالب الشريعة في غالب الأحيان للديناميكية البحثية التي تجعل الدرس العقدي خصوصاً حيواً لارتباطه بأهم ما يحرك الإنسان .

- ظاهرة غريبة أيضاً وهي صدام الذكورة والأنوثة في ذهنية بعض طلبة الشريعة خصوصاً من ذوي الخلفية الريفية عندما يكون المدرس أستاذاً.

- ظاهرة موجودة في بعض الكليات الدينية تأزم الوضع الخاص لطالب أصول الدين حيث يتم توجيه الطلبة المتفوقين في تخصص الفقه بينما المعدلات الضعيفة

توجه لأصول الدين ورغم هذا عدد من الطلبة المتفوقين يفضلون طوعا اختيار أصول الدين والذي هو أصلا يحتاج إلى عقول متفوقة.

ارتباك الأولويات بتسويق الفقه الأصغر على الفقه الأكبر يبرز مرة أخرى ضرورة إعادة الاحتكام إلى آيات القرآن التي تفصل في هذا النزاع الخفي والتي تجعل خشية الله واستحضاره في كل صغيرة وكبيرة مسألة أقل أهمية من أو معرفة الحد الدقيق في وصول ماء الوضوء إلى ظهر القدم مع التذكير أن أصول الفقه كانت ضمن المنظومة الكلامية عندما كان النظر مشتركا .

الأنعام: 82 "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ" سورة الأعراف 179: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا".

ضلع المادة العلمية:

ينطبق عليها ما ينطبق على كل فروع العلوم الإسلامية من أزمة أهم مظاهرها:

- الترتيب النسقي المغلق بعيدا عن الأدوات المنهجية الحيادية كعلم اجتماع المعرفة وعلم النفس المعرفة والتي تساعد على تلقي المادة العلمية بربطها بظروف إنتاجها.

- -لدرس العقدي يتحول أحيانا إلى نصوص محفوظة يسترجعها الطالب والأستاذ عند الحاجة محاطة بهالة من التقديس باعتبارها اعتقاد وليس مادة علمية وهنا لابد من التفريق بين عقيدة الإنسان وبين الدرس الكلامي هل من المعقول أن تدرس مادة في العلوم الإسلامية تحت عنوان : العقيدة ويتحصل فيها الطالب المسلم على علامة ضعيفة وأحيانا أقل من خمسة من عشرين؟؟؟؟؟

- المادة العلمية تقدم أحيانا بتراتبية لا علاقة لها بالتاريخ بل بالنظام السياسي القائم والمنظومة العقدية التي يتبناها رسميا.
- العقيدة مسألة حياة وتقدمها بطريقة جافة يؤثر سلبا على البنية العقائدية للطالب وبالروتين على الأستاذ نفسه.
- تكاد تتفق الكليات الإسلامية على المدخل الفقهي والكلامي لمقاربة الشأن الديني المركزي في العلوم الإسلامية دون الانتباه مثلا إلى مداخل أخرى لها تواجهها في المجتمع وفي المكتبة الإسلامية كالمدخل الصوفي مثلا.
- هذه بعض ملامح أزمة الدرس العقدي والذي تشكل فيه المادة العلمية الخصوصية في المثلث الديداكتيكي.

لقد تبين من المصادر والمراجع المتوفرة أن ما يقدمه المجتهدون اليوم من ملامح لتحديد الدرس العقدي عبر جسر نقد التراث الكلامي سواء من داخل المدرسة الإسلامية الملتزمة أو المدرسة المتأرجحة بين دائرة الالتزام بالمفاتيح الأساسية للمقاربة الأصيلة ومغريات الموقف المتشبع بالمناهج الغربية يلاحظ المراقب الموضوعي أن القضايا النقدية المطروحة ليست جديدة إلا في بعض مفاصلها بل يمكن القول أن نقود المستشرقين لعلم كلام المسلمين إذا جردت من مداخلها المنهجية العامة ومن أطرها الأبستمولوجية الدقيقة ستلتقي مثلا مع النقود التي قدمتها المدرسة الحنبلية بمختلف تلويناتها .

رغم غرابة الملاحظة السابقة فإن سبب الغرابة الفجوة القائمة بين ضفة المطالعات الاستشرافية و"الحداثية" وضفة المطالعات التراثية الدقيقة ومع توفر عينات من منتوج الضفتين لا بد من جرأة البحث عن القيمة المطلقة للأفكار VALEUR ABSOLUE

وضع الفيلسوف أبو نصر الفارابي أول تعريف لعلم الكلام ووضع عضد الدين الايجي أول تعريف كلامي (سني أشعري)

يقول أبو نصر الفارابي :

علم الكلام يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزيف كل ما خالفها بالأقاويل وهذا ينقسم جزئين أيضا : جزء في الآراء وجزء في الأفعال .وهي غير الفقه لأن الفقه يأخذ الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة مسلم يجعلها أصولا فيستنبط منها الأشياء اللازمة عنها.⁽⁷⁾

في إحصاء العلوم يستعرض الفارابي بعض الإشكاليات المرتبطة بحدود علم الكلام ودوره في بناء عقيدة المسلم والإنسان عموما. التحليل الموضوعي يقتضي مقارنة التعريف وإشكالياته بعد تحديد معجم للاصطلاحات لأنها لا تؤدي نفس المعنى بالنسبة لأقطاب المدرسة الكلامية الواحدة فما بالك بالمدارس المتخالفة. أما عبد الرحمان الأيجي : الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام⁽⁸⁾.

احتاج كتاب المواقف لشروح وكتبت عنه دراسات نقدية أيضا والسؤال المعرفي الخام الذي يطرح هو هل فعلا أمة الإسلام كانت بحاجة لهذا الكتاب وكل الجهد العقلي التائه أحيانا ؟؟

جزء من الإجابة تسعفنا به مناهج علم اجتماع المعرفة المهمة بملايسات وظروف نشأة الأسئلة المعرفية والإنتاج المعرفي .

تقول بعض المصادر أن الأيحي الذي توفي في السجن بتهمة سياسية كتب كتابه المواقف في علم الكلام - وهذه ظاهرة تكاد تلازم الكثير الإنتاج العلمي المسلم - كتبه للوزير غياث الدين وزير السلطان التتري، أوليجاتو محمد خُذَابَنده ملك العراق.

مشاهدات وشواهد حول البناء الكلامي:

الارتباك الذي يعيشه العالم الإسلامي أرخى بسدوله على التعليم عموماً والتعليم الديني بصفة خاصة لارتباط الأخير بتكوين العقل المسلم وتأهيل النخب التي من المفروض أن تؤطر مسار المجتمع في اتجاه تحقيق حسن الاستخلاف. التنوع الأفقي لمظاهر تدين المسلمين لا يثير لدى عالم الاجتماع نفس الأسئلة التي يثيرها لدى المتخصص في العلوم الإسلامية. أدوات الملاحظة لدى العالم المسلم في التخصصات الإنسانية والاجتماعية إذا أضيف لها منظار الشرع أي ما يوافق المعالم الكبرى للنموذج القرآني والسني ستمكنه من تحقيق أهداف مزدوجة دينية وعلمية .

لقد دفعت المشاهدات الموضوعية لواقع تدين عامة المسلمين بعض المفكرين إلى صياغة أسئلة حادة مثل ما فعله محمد قطب في كتابه: "هل نحن مسلمون؟" وبعيدا عن مشارط التكفير السؤال عميق وموضوعي ويحيل إلى أسئلة كلامية جادة مثل: ما هو الحد الأدنى من الالتزام الديني الذي يحافظ به الإنسان على هويته الدينية ليس بدافع استحضار مقصلة الفقيه ولكن بدافع استحضار عالم النفس انفصام في شخصية المسلم فرضه واقع مرير واستكانة العلماء في الإسقاطات الفقهية أو اجترار قوالب التصنيف الكلامي.

- المهتمون بحصانة المجتمع المسلم يصرحون بأن العالم الإسلامي مخترق من تيارات عدائية تنخر أساسه بنهم شديد وأن التوازن العقدي لكثير من المسلمين قد اختل والأدلة الظاهرة كثيرة ولكن السؤال المحير هنا هو لماذا الأسئلة التي ترسل وتقال وتثار للمفتين في مختلف وسائط الاتصال منحصرة في الفروع الفقهية البسيطة أو التي تكرر باستمرار من أبواب فقه الوضوء وكأن الأمية الفقهية تزداد بازدياد قنوات محوها؟؟؟؟

كيف لا نسمع عن الأسئلة التي هزت توازن المسلمين وحيرت عقولهم ؟. هنا أيضا يلاحظ أن أمور الدين تحولت إلى ما يشبه الاستشارات القانونية خالية من الروح في أبعادها الصميمية في علاقتها بمحبة الله والارتقاء إلى ملكوته دون أن يعني ذلك إهمال الإحداثيات الواقعية .

-ظاهرة الصيام الشعبي من أثرى المظاهر من حيث وضوح تلويناتها والتي قد تتراوح بين التضحية بالراحة من أجل الخدمة التطوعية لدى بعض المؤمنين إلى التطفيف في الميزان والاحتكار لدى بعض التجار إلى الجنون الذي يؤدي إلى خراب البيوت وجرائم القتل.

- سيطرة العقلية الفقهية وانقلاب الموازين كما شرح بعض أسبابها صاحب إحياء علوم الدين وحتى الكواكبي في طبائع الاستبداد وارتباط الدبلوم في تخصص الفقه بمناصب العمل وفرص التوظيف في مختلف دواليب الدولة جعل الأسئلة العقدية تائهة تبحث عن العالم المتجدد والالتفات الحقيقي من أولي الأمر الذين انتبهوا إلى خطورة هذا الواقع عندما اضطروا إلى مواجهة ظاهرة التطرف المسلح ووجدوا أمنهم الروحي والعقدي مهدد وأدوات مواجهته ضعيفة لاعتمادها على الطابع الأممي القانوني(الفقهي).

-في مدرسة لأطفال المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية تسرب كتاب مدرسي تشرح بعض صفحاته بالصورة والنص كيف تقطع يد السارق من حيث الشرايين والعظام والدماء وغيرها ؟؟؟؟

-تسييس بعض القضايا الفقهية بطريقة عرجاء مظهر آخر من اختلال التوازن فالزكاة سلوك روحي-أخلاقي -اقتصادي ولا يمكن أن يعوض تخطيط الدولة ومؤسساتها . إن الله عز وجل جعل الأقربين أولى بها ومحاولة توجيه العبادات في هذا المنحى يتماشى مع المقاصد العليا للدين ولكن لا يجب أن تحول المؤسسة دون بلوغ مقاصد العقيدة.

ضرورة التغيير الذاتي

جامعات العلوم الإسلامية هي بمثابة ثكنات تكوين المدافعين عن الحدود لأن عقيدة الإنسان أهم من كيانه المادي وهذا التشبيه لا يستحضر الحشونة والعضلات ولكن روح التضحية وحسن التخطيط وإن كانت الجيوش المتطورة اليوم تستفيد من التكنولوجيا إلى درجة أن وجود نساء على رأس وزارات الدفاع لم يعد يثير الاستغراب خصوصا وأن المعجم العسكري أصبح يشمل كلمات مثل الهجوم الإلكتروني ومليشيات الكترونية وردود على هجمات افتراضية الكترونية وغيرها بعد مرحلة طائرات من غير طيار والأسلحة الكيميائية وغيرها.

انبرى عقلاء من العالم الإسلامي إلى وضع مشاريع إصلاح التعليم الديني أو على الأقل التوعية بتشخيص أزمته الحادة.

يصنف الدكتور خالد الصمدي بعض عوارض أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي في عناصر عديدة أهمها:

1- غربة الألفاظ والأسئلة والأجوبة. و الأمثلة كثيرة في الدرس الكلامي والعقدي.

2- الانصراف إلى المنتج والمنتج (بالكسر) أكثر من أدوات الإنتاج ومثال ذلك نقل أقوال المفسرين أكثر من البحث في أصول التفسير ومناهجه. و في علوم الحديث الميل إلى الرواية والنقل أكثر من الفقه ومناهجه وفي السيرة الميل إلى التاريخ أكثر من التفكير في العبر والقيم. وفي أصول الفقه تحول من أساس التفكير المنهجي إلى مجال تختلط فيه كتابات فروع الفقه وتاريخ التشريع.⁽⁹⁾ وتزداد حدة الأزمة عندما ندرك أن العالم المتطور والمنتج والقوي يهتم أولاً بالمناهج وأصول التفكير أكثر من المعلومة التي تتحول إلى مخبر التشريع والتفكيك المنهجي والمعرفي. أما أنور أبو طه في دراسة حول: الحداثة وأزمة مؤسسات التعليم الإسلامية فيرى أن أهم مظاهر أزمة التعليم الديني هي:

1. هيمنة البلاغة والإنشاء
2. لا تاريخية التلقي
3. قصور الإنتاجية المعرفية
4. ضعف الحجاج المقارن.
5. تحول سلطة النص
6. غلبة التسييس
7. اتساع دوائر المطلق والمقيد
8. إزاحة المعارف الحديثة.⁽¹⁰⁾

هذه أهم العناصر التي يمكن إيجادها أيضاً في دراسات وكتب ومقالات عديدة حول أزمة التعليم الديني لأن التشخيص الموضوعي يؤدي إلى إحصاء الأعراض نفسها تقريباً. خصوصاً وأن عملية اقتراح البرامج الإصلاحية نجدها عند محمد عبده وعبد الحميد بن باديس الذي لم يذكره علي جمعة في ورقته لمسح:

الأدبيات التي تعالج الإصلاح في التدريس العلوم الشرعي ضمن مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات عام 1995. (11)

إشكاليات علم الكلام:

تعريف علم الكلام أو تحديد مجاله يقتضي الحذر من أمرين:

1- أن هناك تقاطعا وأحيانا تطابقا بين حدود معرفية أخرى كعلم العقائد أو علم العقيدة أو أصول الدين أو علم الفرق أو علم الملل وإذا وسعنا النظر قد ندخل في مقابلات مثل علم اللاهوت المسيحي واللاهوت الدفاعي وإذا وسعنا إلى مدارات وصل إليها حسن حنفي بتهجير مصطلح جديد من أمريكا اللاتينية المسيحية : لاهوت التحرير .

و بالتالي حتى المدار التي يتحرك فيه هذا المجال المعرفي غير قار وغير جامد بما يفهم إيجابيا ضمن مقاصد العقيدة الإسلامية التوحيدية والفطرية.

2- لا يمكن الاتفاق على تعريف يرضي كل المدارس وكل المقاربات وهذا ينطبق على هذا العلم وغيره باعتباره مجاله هو الإنسانية وليس الدقيقات (تجاوزا باستحضار ثنائية دقيق الكلام وجليل الكلام و بلغة أبسط الإلهيات والطبيعات).

- اختيار تعريف إجرائي آمن مسار لأي بحث في ثانيا ما يمكن تصنيفه تحت باب هذا العلم بالاجتهاد المعلن.

- المتابعة التاريخية هي التي تساعد على وضع معالم محورية للعلم وأبرز العاملين فيه والطريق الأسلم أحيانا هو تقديم تعريف إشكالي يحمل مشاكل التدقيق نفسها مثل ما جاء ضمن بحث محمد هلال:

- علم الكلام من حيث هو حقل دراسي وعلم من العلوم الإسلامية القديمة وضرب من النشاط الفكري الإنساني وتعبير مخصوص عن الدين كان في

تواشج مع حقول معرفية أخرى وتفاعل مع سلطات وأنشطة اجتماعية وسياسية وظروف تاريخية خاصة عرفها المجتمع الإسلامي القديم .⁽¹²⁾

• هناك ملاحظة هامة جاءت في هامش نفس الصفحة وتدل في عمقها أن كثرة الكتابات حول الموضوع لا تعني دائما التحكم المنهجي فيه لأن أبسط علامات الاهتمام بموضوع هو متابعة تراكم الاهتمام به يقول محمد هلال :

— ما يفتقده الباحث المعاصر في حقل علم الكلام دليل للدراسات الكلامية يحصي الكتابات القديمة والحديثة المتعلقة به مرتبة بحسب الموضوعات والأزمنة والمدارس ومعجم مصطلحي عام يحيط بالمصطلحات الكلامية المستعملة قديما .
— كتاب محمد هلال يدخل ضمن سلسلة يشرف عليها الدكتور عبد المجيد شرفي ومراقبة الإحالات والمراجع نوضح الاستفادة من إنتاج المستشرقين وأدواتهم المنهجية والمخطوطات التي حققوها بين جدا.

— الحكمة والعلم يبحث عنهما المسلم لخدمة دينه والثغرات التي تحدث عنها محمد هلال سد بعضها للأسف المستشرقون ولا يبدو أن المسلمين واعون بأهمية علوم العقيدة وعلم الكلام لأن اتجاه الدراسات في العالم الإسلامي كما يلاحظ من عناوين الأطروحات والرسائل الجامعية والكتب بعيد عن هذا المجال عكس الجامعات العالمية التي تهتم به وبوتيرة متصاعدة وبلاستفادة من العلوم الحديثة كما هو واضح من سوق الكتب والدراسات ومساقات التكوين هناك.

الكتب المؤرخة لعلم الكلام⁽¹³⁾ والتي تكاد تنقل نفس المعلومات والتصنيفات تحدد أسباب ظهوره في اتجاهين رئيسيين :العوامل الداخلية كاحتواء القرآن للجدل وردود على المخالفين واهتمام المسلمين بالنشاط الفكري بعد زخم مرحلة النشاط العسكري فالفتوحات في الدولة الأموية كانت أكثر كثافة من عصر

الدولة العباسية والإنتاج الفكري كان مطردا عكسيا. يضاف إلى ذلك الخلاف السياسي الذي تحول إلى خلاف ديني. وفي اتجاه العوامل الخارجية يذكر دخول أمم كثيرة إلى الإسلام من خلفيات دينية مختلفة وانعكاس ذلك على الحركة الفكرية بين المسلمين كما يلحق بهذا العامل الشبهات التي كان يثيرها أتباع الأديان الأخرى والملاحدون بحسن نية أو بسوءها وما يتطلبه الرد من أعمال العقل والبحث عن أسلم الطرق للتصدي لهذه النوازل الفكرية والعقدية. يمكن إضافة عامل آخر وهو أن التدوين والتأليف اللذان بدأهما المسلمون يحتاجان إلى مران فلسفي وجدلي. من الملاحظات التي تستدعي الدراسة المعمقة أن بعض الشبهات التي رامت إرباك التصورات العقدية كانت تصدر من مراكز سياسية مفتاحية من ذلك شبهات الوزير ابن النغيلة في الأندلس التي أضاف إلى ذلك تحديه بتحويل القرآن الكريم إلى نظم شعري. وإسحاق بن حنين الذي أشرف على عملية ترجمة التراث غير العربي وهو المسيحي المتمسك بعقائده وتقول بعض الدراسات أنه كان يعتقد بتفوق العنصر الذي ينتمي إليه يضاف إلى ذلك ما فعله البرامكة الذين كان نفوذهم قويا وكانت مكتباتهم وتدخلهم في السياسة الثقافية للدولة يسير أيضا في مصلحة جذورهم غير العربية.

بناء على العوامل السابقة تأثرت تعريفات علم الكلام وتلويناته المعرفية بالوظيفة المحددة للعاملين فيه والتي طغت عليها النزعة الوثوقية والدفاعية: إثبات أصول الدين بالأدلة المفيدة لليقين بها.

قراءة كتب الشيخ محمد أبو زهرة ومحمود صبحي ومصطفى عبد الرازق ومحمد عبده وعلي سامي النشار وقافلة علماء المسلمين المباركة وإحالاتهم على القاضي عبد الجبار والأشعري والبغدادى الأيجي والجويني والباقلاني والغزالي

والرازي وابن تيمية والتاфтаزاني وغيرهم من منارات التفكير المسلم الاجتهادي تعود العقل المتبع على نمط من الاستحضار الذي لا يمكن التحرر منه بسهولة يتحول إلى كتل قانونية ولبنات في بناء هندسي يوفر الأمان المعرفي للباحث عن الشرعية العلمية الهادئة التي لا يتحرك منها بجرأة غير مأمونة الجوانب دائما إلا التفتح على سموات أخرى كما فعل محمد إقبال وعبد الكريم سروش على سبيل المثال ولم يذكر محمد عبده هنا مثالا لعدم غطسه في أعماق التراث الفكري الغربي لأنه لا يملك لباس الغطس وهو اللغة أساسا وتوابعها كأدوات المنهجية.

حددت أدبيات علم الكلام المحاور الأساسية لعلم الكلام كنسق مغلق في غالب الأوقات مع اختلاف ظاهر مع المدرسة الشيعية ولكن الطابع العام هو الدهول عن المشاكل الحقيقية للوجود الإنساني .

الجوانب التطبيقية:

واقع العالم الإسلامي اليوم يجعل التمسك بالدين مسألة حياة والطالب الذي يختار تخصص العلوم الإسلامية في هذه الأجواء يبحث عن الفقه باعتباره النموذج الذي يحقق الأمان والصورة المنطبعة لدى الطلبة أو بالأحرى التلاميذ القادمين إلى الجامعة هي أن أصول الدين هي ارتباك وتشويش لا يسلم منه الكثير إضافة إلى أن المجتمع في هذه الظروف يعطي الشرعية والمقام الرفيع لمن يفت ويحجب عن التساؤلات العملية البسيطة وهذه وضعية تشبه الثقة في المعالج التقليدي في المجتمعات المتخلفة لأن الأهم في حياة الفرد والمجتمع هو تحقيق الصحة الجيدة والوقاية من الأمراض بالوسائل المتطورة وإذا لم يتحقق هذا ليس أمام الناس إلا اللجوء لما يعرفونه فهل يعقل أن المسلم لا تؤرقه أسئلة الوجود الكبرى وأسئلة بناء الذات القوية المتواصلة مع الخالق ونحن نقرأ

الحديث الذي رواه الإمام أحمد (17545) عن وابصة بن معبد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : (جئت تسألني عن البرّ والإثم فقال نعم فجمع أنامله فجعل ينكتُ بهنّ في صدرِي ويقولُ يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك ثلاث مرّات البرّ ما أطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك) والحديث من أحاديث الأربعين النووية، وقد حسنه النووي والمنذري والشوكاني، وحسنه الألباني لغيره . وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (البرّ حسنُ الخلقِ ، والإثم ما حاك في صدرِك ، وكرهت أن يطّلع عليه النَّاسُ) رواه مسلم (2553). وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (البرّ ما سكنت إليه النفس واطمأنّ إليه القلب ، والإثم ما لم تَسْكُنْ إليه النفس ولم يطمئنّ إليه القلب ، وإن أفتاك المُفتون) رواه أحمد.

ألا يمكن أن يفهم من هذا أن بناء القلب وتحقيق الثبات والتوازن النفسيين هما التحصين الحقيقي؟؟ وأن الفتوى أو القانون الفقهي هو الاضطراب؟؟
التلميذ والطالب في ارتباكهما هما المؤشر على غياب الإستراتيجية العلمية لهندسة المعارف الإسلامية. من جانب آخر يفضل التلاميذ والطلبة الباحثين عن الجهاد العقلي والفكري التسلح بالمناهج والأدوات التي توفرها العلوم الإنسانية والاجتماعية وأحيانا العلوم الدقيقة وتوجيهها لاحقا لخدمة رؤيتهم لما يخدمون به دنياهم وآخرتهم. ومع انتشار تيار فكري ينقل الخلاف الفكري بين علماء الكلام والفقهاء إلى العامة ويتجاوز عن ملابسات ذلك الخلاف جعل الفرار من دراسة أصول الدين كالفابض على حجرة حسن تدينه..⁽¹⁴⁾

الموضوعية تقتضي الاعتراف بملاحظتين: الجفاف والجفاء اللذان تدرس بهما مواد علم الكلام في أغلب الجامعات الإسلامية إضافة إلى الغبار المتطاير من المعجم

المتحفي والأسئلة القاتلة والكتب الطلاسمية التي يؤدي الاعتكاف عليها بعيدا عن الأدوات المنهجية الصحيحة إما إلى البلادة الوجدانية الناتجة عن الغربة القاسية في دهاليز تلك المؤلفات أو إلى الحاد متحفي في ثنايا جلباب أيمان شكلي يجد لجوءه الآمن في التطفل على الفتوى والتصارييف الفقهية. ويتحول علم هدفه إحياء الدين وتفعيل الأسئلة الحية إلى علم لياكل عظمية متعفنة وساحة لمعارك وهمية.

و بتبسيط لهذا التصوير الفواجعي يمكن القول:

-إذا كان علم الكلام جاء لتثبيت الأيمان والدفاع عنه والقرآن حدد أصول الأيمان فلماذا تحولت الأسئلة الآنية حول الإيمان إلى قيود وقوالب تكسر العقول والأرواح لتتناسب مع حجمها؟⁽¹⁵⁾ لماذا يتصارع عقل الأستاذ والطالب مع طواحين إعتقادية تفرض عليهم. بمعنى آخر مباحث علم الكلام طارئة على النسق القرآني للأيمان وهدف العلم متعالي على الأسئلة التي تفرضها الحياة وهنا نقد المدرسة السلفية (ومعها بعض الدراسات الإستشراقية) هو نقد موضوعي جدا إذا أزيلت عنه أكوام التحامل والإغراق في التفتيت الذري لأن نقد المدرسة السلفية لم يذهب إلى مداه بل استبدل منظومة كلامية بأخرى. وكان المنطقي القراءة التاريخية التي تقدم الحوصلة الموضوعية بايجابياتها وسلبياتها .

- التراث الكلامي عندما يدرس بملايساته وأسباب نشأته وتفرعاته الكبرى⁽¹⁶⁾ يوفر مادة ثرية لتتبع تفاعل العقل المسلم مع واقعه فمثلا لا يستحضر المدافعون عن علم الكلام الحقيقة المرة وهي أن علم الكلام كان نخبويا ترفيا وانحساريا⁽¹⁷⁾ تحت غطاء الجاهل العوام عن علم الكلام وأن العامة لا يملكون ملكة الفهم لمسائل علم الكلام وهذه شهادة مهمة في إمكانية الاستغناء عنه في هذه الحالة لأن الدين واحد والله يحاسب الأمي والجاهل كما يحاسب صاحب المدرسة الكلامية والمخرج من

هذا المأزق هو نقطة تلتقي فيه النظرة الراضية في المطلق لعلم الكلام مع النظرة المستميتة في الدفاع عنه والتي فرضت سطوتها بالتحالف مع الحكام سواء المدرسة الاعتزالية مع المأمون أو السلفية مع المتوكل أو الأشعرية في المغرب العربي مثلاً مع ابن تومرت.

الطالب لتشجيعه على دراسة الفقه الأكبر (أصول الدين) والذي هو أهم من الفقه الأصغر (فروع الفقه) أما أصول الفقه في شكله التقني فهو برنامج كلامي.

يجب توضيح مسألة الفرق بين تاريخ علم الكلام والعقيدة الإسلامية بمعنى أن القوالب الكلامية التي صنعتها المدارس الكلامية ليست هي الإسلام بل هي اجتهاد في فهمه والدليل على ذلك الاختلافات بين المدارس إلى درجة تغيب معها النظرة الموحدة لأنها ملتبسة بالظروف الذاتية والموضوعية لنشأتها وتطورها كما يلاحظ أن الاعتماد على القرآن والسنة لم يمح تلك التناقضات ولم يسهم في القضاء على الشبهات أو منع توالدها.

علم اجتماع المعرفة وعلم نفس المعرفة يسمحان بإضفاء الحياة على دراسة كتابات علم الكلام وحب المعرفة فطرة في الإنسان سواء في معرفة الأحكام الفقهية أو دقائق النحو والصرف أو الآثار القديمة أو لغة الحشرات فمحالات المعرفة بسعة الكون المسخر للإنسان.

يمكن أيضاً تفعيل ملكة البحث عند الطلاب بالانفتاح على الواقع لأن طالب أصول الدين إذا أحسن تكوينه منهجياً وموسوعياً هو طبيب القلوب الحقيقي يعرف كيف يشخص العلل وكيف تداوى خذ مثلاً قضية القضاء والقدر أو وجود الشر في العالم والحيرة التي شلت العقل البشري على تفكيك شفرتها.

التدين الشعبي وارتباك ترتيب الأولويات في حياة الإنسان والخطاب الدعوي الناجح ومحاوره المختلف وتفعيل العقيدة ومداواة القلوب المنهكة كلها مقامات لتبجيل الخالق واستثمار العقول المتوازنة لإقامة عدله ونشر محبته وهي محض أصول الدين ومقاصده.

طالب العلوم الإسلامية إذا درس علم الكلام وأصول الدين كإنتاج فكري مسلم اجتهدى يقبل ويرد وليس كأنساق إجبارية التمثل تلاشت أمامه المعينات النفسية وأصبح منتجا لمعرفة كلامية ديناميكية .

لا يتردد الباحث في أصول الدين الاعتراف مع كل المسلمين أن أصول الدين في مفهومها الحق هي أصول الإيمان الستة التي أجاب بها رسول الله -صلى- جبريل حين سألته عن الإيمان فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة. وحسم القرآن في سورة البقرة الآية 285 والآية 177

يتحرر الطالب بحفظ القرآن⁽¹⁸⁾ ومقاصده العقائدية من الموت خنقا من غبار المتون القديمة التي تلقن بطريقة تؤزم الطالب نفسيا وعلميا. سيتخزر أيضا عندما يتشرب بمناهج العلوم التي تستفز ذكاءه وتترله إلى ساحة التدافع الفكري العالمي في عصر تنوعت وسائل التواصل واختلقت قواعد الحروب.

محاور علم الكلام في تركيبها العضوي هي:

المسلمات:

الأسئلة من واقع الإنسان كالوجود البشري والقضاء والقدر والأسئلة لا يجب أن تؤخذ من بطون الكتب بل من واقع الناس لأن وظيفة علم الكلام هي

الدفاع ورد الشبهات وتثبيت الإيمان فمن الأسئلة التي تعج بها المواقع الالكترونية المشككة والتي يتداولها الشباب المهتم بالأمور الدينية تثبيتاً ونفياً :

— لماذا يرضى اله المسلمون بأن تغتصب المسلمات من الكفار؟

— لماذا يسمح الله عموماً بأن يتعذب طفل صغير في مرضه العضال ؟

— لماذا يموت المؤمنون جوعاً وفقراً وقهراً؟؟

إذا كان الدعاء أنقذ سفينة لأن ركبها تمسكوا بالدعاء الصادق فكم سفينة غرقت وعلى متنها أطفال ومؤمنون لم تتوقف قلوبهم عن الدعاء والإيمان اليقيني بأن الله لا يترك من يؤمن به؟ والسؤال الذي يدين المجتمعات الإسلامية والذي أرق مؤمن وحاول الأمير شكيب أرسلان الإجابة عنه: لماذا تأخر المسلمون وتقديم غيرهم؟؟؟

هذه الأسئلة وشبهاتها تراود العقل البشري في الإسلام وفي غيره هناك إجابات في كتب التراث ولكن العقل الكلامي التاريخي الذي يكاد يتفق مع العقل الفقهي على تأجيل النهوض الحقيقي للمسلمين بترحيل الأسئلة إلى عالم الدوائر المغلقة والبعيدة عن نبض الإنسان وتحول المسلمات العقدية التي يحتاجها الإنسان للحياة الكريمة إلى طلاس معقدة.

نموذج عملي للتحليل :

1. الربط بين نشأة الاجتهادات الكلامية بالظروف السياسية نظراً لطابع الحكم المركزي لنظام الدولة الإسلامية: فالمعتزلة ارتبطت فترة ازدهارهم بالخليفة المأمون والأشعرية بالسلاجقة والسلفية بالمتوكل وانتشر المذهب الأشعري في المغرب العربي بآبن تومرت. وتسمح هذه العملية بتحرير النقد الموجه لهذه

المدارس وغيرها من الحمولة المذهبية/السياسية وتأصيلها داخل المخابر العلمية بمشرط الباحث الموضوعي لا بالخصم المذهبي. يعني ذلك أن التحليل العلمي يجنب الباحث استبدال منظومة بأخرى بروح الاستعلاء.

2. التحرر المنهجي من التراتبية فمثلا في كتاب الأيجي في المقصد الأول من المرصد السادس نجد النص التالي: أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها .

الرجائي يشرحها: شعور الإنسان أنه يوقع الفعل بإرادته سببه إجراء الله العادة بأن يتم لفعل حسب إرادة الفاعل فيكون الفعل مخلوق لله ومكتسبا للعبد. الأسئلة المنهجية: أين القيمة المعرفية؟ أين المشكلة؟ أين حلها؟ أين القيمة المطلقة للمعرفة الدينية؟ ماهي الإضافة في النص الثاني من حيث تركيز المعنى واختزال المشكلة؟ والسؤال الأخطر أين التأثير الحقيقي في الواقع إذا أبعدنا الترف الفكري كمقاربة؟ وإذا كان الهدف من علم الكلام تثبيت العقائد يجب ربط كل هذا بالتكوين الذهني لجيل تحول بفعل تأثير استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة إلى *عبارة* في الاختزال، 40 كلمة للتغريدة و شفرات خاصة للاختزال في رسائل الهاتف النقال (خصوصا بمقارنتها بأجيال تربت على الإغراق في التفاصيل مخافة تياهان المراد والمعنى.

3. المعرفة الكلامية لتفهم أبعادها لا بد من ربطها ب:

- أسباب النشأة من خلال المراحل الكبرى ومن خلال التفاصيل المحورية.
- الاتجاهات الأساسية وخصائصها.

- العوامل المؤثرة فيها.
- البحث عن إجابة سؤال هل أنشأت بنية نظرية متكاملة ومتناسقة .
- مكانتها في المحيط الاجتماعي والعلمي الذي نشأت فيه .
- ماذا قدمت للمسلمين وماذا أضافت لهم.
- الحياة الخاصة للمؤلفين : يبحث عنها في كتب بعيدة عن التخصص الدقيق كدواوين الشعر وتاريخ المدن وغيرهما : الأشعري مات والده وأوصى بأن يتكلف بتعليمه رجل محدث لكن أمه تزوجت معتزليا كبيرا فتبعه الأشعري أربعين عاما لم يتحرر من الاعتزال إلا بوفاة زوج أمه.
- الشهرستاني يكتب في مقدمة الملل والنحل أنه اتبع طريقة التشجير والتفرع ليثبت أنه يتقن الحساب والجبر وأبو حامد الغزالي إشرافه على المدرسة النظامية وأزمته الروحية لها علاقة بمشكلة نفسية تحدث عنها هو والمتخصصون بعده.⁽¹⁹⁾
- مصادر عديدة في علم الكلام وفي غيره أيضا من العلوم الإسلامية كانوا يعترفون في مقدمة مؤلفاتهم أنهم ألفوها تحت طلب الحكام وهم أيضا يهدونها للحكام باهداءات التبجيل وتمعجم لفظي صادم.
- إذا كانت بعض المدارس الفكرية تدم علم الكلام وتريد ملاحقة المشتغلين به بالجريد فان ما تقوله هذه المدارس ليس كله تحامل وظلم وسوء نية وصراع على الريادة العلمية لذلك لو جرد من هذه العناصر ستكون هناك ثروة علمية رصينة ولتأخذ على سبيل التكامل المعرفي.
- التحليل الموضوعي يقتضي تحليل الأسباب التاريخية الموضوعية لدم علم الكلام⁽²⁰⁾ بربطها بأسباب النشأة التاريخية لعلم الكلام وبيعض تجاوزات

علماء الكلام كأزمة خلق القرآن كمثال صارخ عندما تحول المدافعون عن حرية الإنسان إلى جلادين يمتحنون ضمائر البشر...

— المستشرقون تواصلوا مع مخطوطاتنا الأساسية قبلنا حققوا بعضها درسوا علميا بعضها استأثروا ببعضها وعرفوا أيضا قبلنا قواعد التحقيق العلمي ويعترف رواد التحقيق المسلمين بفضل هذا الرافد في المعرفة العلمية لذلك أيضا لا مناص من الاستفادة من هذا الجزء من المكتبة الإسلامية .

-- العولمة العلمية وتصنيف العلوم الإسلامية عموما ضمن العلوم الدينية يقتضي فتح الأفق الضروري لدراسة علم الكلام في الأديان الأخرى ودراستها منهجيا وتاريخيا وبمناقفتها بالمنظومة الإسلامية ضمن شروط الدفاع الذاتي طبعاً.

معادلة التجديد:

إذا كان علم الكلام يهدف إلى تثبيت الإيمان والدفاع عنه ورد الشبهات يجب أن يدرس ضمن إلحاحية الواقع ورسالة الإنسان في هذه الدنيا. المعرفة الكلامية كلها هي: نتاج: عقل + روح + مجتمع + مستوى علمي + سياسة. الأهم في هذه المعادلة هو المنهج لأنه الأضمن لمعرفة المسار لهذه المعرفة يضاف إلى ذلك الموضوع وتفكيك عناصره بدقة، ودراسة الهدف من هذه المعرفة علميا وواقعيا باستحضار المقولات المفتاحية من قبيل أن العقيدة المفصولة عن الأفعال إرجاء والأفعال المفصولة عن العقيدة نفاق ورياء وأن كمال الإيمان هو تصديق وقول وعمل.

الإيمان الصحيح هو في بساطة الجملة: فطرة سليمة عاطفيا وفكريا ولتحقيق كل ذلك لابد من الاستعانة بكل الثروة التي في الفقه والتصوف والكلام وغيرها من النتاج الإنساني المتمحور حول التدين.

النصوص الكلامية تفكك لعناصرها الأولية: القرآن + السنة + العقل المجتهد + الأثر الخارجي كالسريانية واليونانية وغيرها في مراحل التكوين .

المخبر العلمي يجب أن يدرس هذه العناصر من أجل تحقيق رسالة المسلم في هذه الأزمنة التي يجب على سبيل المثال أن يستفاد من علم النفس وعلم الأعصاب لفهم بعض جوانب مشاكل الردة والاضطراب العقدي على سبيل المثال. وفي مجال دقيق الكلام الربط مثلا بين مباحث قدم العالم ونظرية BING BANG

الخاتمة:

حاول بعض العلماء إغلاق الأنساق بعبارات كنهاية المراد وغاية الإفهام ومنتهى الدراسة. والإنسان كما خلقه الله يطرح أسئلة حسب مستواه العلمي والروحي ويفهم الإجابات حسب مستواه العلمي والروحي .

علم الكلام كدرس وقيمة معرفية في المثلث اليداكتيكي لا يمكن أن يحقق التوازن بين أضلاعه دون استحضار ثقل هذه الإشكالات التي يشترك في تجشم حملها الأستاذ وطالب العلم الذي حمله تراثنا الإسلامي مسؤولية تحريك الحضارة كل ذلك مع الانتباه إلى ضرورة الدراسة الموضوعية الشاملة للوسط اليداكتيكي الذي تتحرك فيه ذرات علم الكلام.

إن المسلم في النهاية يسخر المعرفة الكلامية وفق خرائط تصنعها عقول أودع الخالق فيها شروط انضباطها.

الهوامش

1- فوكوياما: الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي تحقيق معين الإمام ومحاب الإمام.

2- الموقع الرسمي ل ريجي دوبري:

Regis debray :A monsieur le ministre de l'éducation nationale :l'enseignement du fait religieux dans l'école laïque 2002.

3- الإلحاد في العالم تجرى حوله دراسات وإحصائيات في موقع متابعة أتباع الديانات وآليات وصعوبات الإحصاء. أو مواقع تهتم بالديمغرافيا عموما. www.adherents.com.

4- انظر أيضا الدراسات المهمة بموضوع الاعتقاد الديني لدى العلماء في مجلة la recherche الفرنسية التي اهتمت بموضوع الاعتقاد الديني لدى العلماء من خلال السؤال عن تصورهم لخالق الكون وجودا أو عدما وفي خصائصه وعلاقتها بالأديان المعروفة وكان James LEUBA المتخصص في علم نفس الأديان درس عام 1916 موقف 1000 عالم أمريكي بطريقة غير انتقائية عن عقيدة الخالق .

5- www.didactique.info

و مواضيع تحت عناوين:

- science of teaching/science of learning
- BROUSSEAU G .theorie des situations didactiques grenoble ed.la pensee sauvage.

- محمد الدريج :مجلة التدريس العدد 7 كلية التربية جامعة محمد الخامس الرباط.

- احمد اوزي .المعجم الموسوعي لعلوم التربية مجلة علوم التربية الرباط 2006



الدرس العقدي بين أزمة علم الكلام وتعثُر الديداكتيك

- محمد مكسي: الدليل البيداغوجي مفاهيم ومقاربات منشورات صدى التضامن 2003 حيث يوضح أن الديداكتيك إستراتيجية تعليمية تواجه مشكلات كثيرة في المتعلم وفي المادة وبنيتها المعرفية وطرائق إيصالها والوضعية التعليمية .
- مجلة الميرز الجزائرية المدرسة العليا في الآداب والعلوم الإنسانية العدد 16 سنة 2002 عبد الله قلي: التعليمية العامة والتعليمية الخاصة.
- Didaskein تعني التعليم، وقد استخدمت هذه الكلمة في علم التربية أول مرة سنة 1613 من قبل كل من كشوف هيلفج K. Helwig وراتيش Ratich في بحثهم حول نشاطات راتيش التعليمية، وقد استخدموا هذا المصطلح كمرادف لفن التعليم، وكانت تعني عندهم نوعا من المعارف التطبيقية والخبرات، كما استخدمه كامنيسكي Kamensky سنة 1657 في كتابه الديداكتيكا الكبرى* واعتمادا على "، حيث يقول أنه يعرفنا بالفن العام للتعليم في جميع مختلف المواد التعليمية، ويضيف بأنها ليست فن فقط التعليم بل للتربية أيضا.

Mind map

tony BUZAN: التشجير من حيث ترتيب الأفكار وسرعة التعلم واسترجاع المعلومات منذ 1971

- 6- طه جابر العلواني: اصلاح الفكر الإسلامي المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1991
- 7- أبو النصر الفارابي: احصاء العلوم .. تقلص وشرح د علي بوملحم . دار ومكتبة الهلال 1996. ص 86 وص 87 .
- 8- عضد الدين الايجي: المواقف في علم الكلام. عالم الكتب . بيروت . ص 7 وص 8 .
- 9- خالد الصمدي: أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي. دار الفكر . دمشق ، بيروت 2007
- 10- أنور أبو طه ضمن كتاب :خطاب التجديد الإسلامي . دار الفكر بيروت دمشق. 2008.

11- علي جمعة ورقة بعنوان: مسح الأدبيات التي تعالج الإصلاح في تدريس العلوم الشرعية. ضمن كتاب مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات. تحرير فتحي الملكاوي ومحمد ابوسل. عمان 1995 .

12- محمد بوهلال: اسلام المتكلمين. دار الطليعة بيروت. 2006. ص.7

13- مصادر الاستدلال على مسائل العقيدة : الدليل النقلي/الدليل العقلي/ الفطرة/الكشف والالهام /حقائق العلم التجريبي.

- يحمل: المتكلمون /الفلاسفة/الصوفية.

- مناهج الاستدلال على العقائد من المنظور الكلامي :

1* البرهان الكلامي حيث يبدأ المتكلم من أقوال الخصم.

2* تأويل النصوص التي تتفق مع ما يريد لكي يثبت أقواله.

3* التفويض التسليم لأمر الشرع والإقرار على عجز العقل على الوصول للحقيقة

أو انظر مثلاً: علي الشابي مباحث في علم الكلام والفلسفة ط:2 بيروت دار المدار

الإسلامي 2002

14- ابن قدامة المقدسي تحريم النظر مستشهدا بقول ينسب للشافعي :حكمي في أصحاب

الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ومعتمدا على قول منسوب

لأحمد بن حنبل : لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى احد نظر في الكلام ألا وفي

قلبه دغل.

15- رسالة استحسان الخوض في علم الكلام أبو الحسن الأشعري ط2 مجلس دائرة المعارف

النظامية جيدرabad علق عليها الأب رتشرd يوسف مكارثي اليسوعي. ص94: و كل ما

ذكرناه من الآي أو لم نذكره من تفصيل وإن لم تكن مسألة معينة في الكتاب والسنة لان

ما حدث تعيينها من المسائل العقلية في أيام النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم ردوها

وقاسوها على ما فيه نص من كتاب الله والسنة واجتهادهم.

16- يقول صبحي في علم الكلام :دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين

دار النهضة العربية ط5 سنة 1985 ص11 : يقتضي النسق المتكامل أن اعرض للفرقة

الدرس العقدي بين أزمة علم الكلام وتعرض الديداكتيك

منذ نشأتها بل منقبا عن جذورها وإسلاف شخصياتها مقتفيا أثرها متتبعا مسارها من خلال مفكراتها إلى أن حطت الرحال فعجزت عن أن تنتج فكرا.... باطن التاريخ من فكر هو وحده التفسير المقنع حينما يعجز ظاهره عن تقديم السبب الكافي..

17- الجاهل العوام عن علم الكلام ص 61: يجب على العامي أن يعتقد أن ما انطوى عنه من معاني هذه الظواهر وإسرارها ليس منطويا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أكابر الصحابة وعن الأولياء والعلماء الراسخين وأنه إنما انطوى عنه لعجزه وقصور معرفته فلا ينبغي أن يقيس بنفسه غيره فلا تقاس الملائكة بالحدادين.

18- يقول صبحي: ص 28 حث القرآن على النظر والتفكير أو حث الحديث على الاجتهاد والاستنباط لا يتعارض مع ما سبقت الإشارة إليه من نهي عن الخوض في موضوعات مغيبة على الإنسان لقصور عقله أولا: سورة الإسراء: الآية 85 وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ولأنها دليل ضعف الإيمان ثانيا: سورة الأنعام الآية 159: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.

19- الملل والنحل الشهرستاني: تحقيق أبو محمد بن فريد المكتبة التوفيقية القاهرة: ص 22: اعلم أن لأصحاب المقالات طرقا في تعديد الفرق الإسلامية لا على قانون مستند إلى أصل ونص ولا على قاعدة مخيرة عن الوجود فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق.

20- المؤلفات القديمة التي حملت عنوان كتاب الإيمان كانت تناقش مسائل ما يسمى لاحقا علم الاعتقاد أو علم العقيدة أو علم أصول الدين أو علم الكلام أو علم العقيدة. انظر مثلا نموذجاً: لأبي حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد شرح وتعليق وتحقيق إنصاف رمضان.